مناجاة الارواح والبحث في النفس

لقد كان البحث في النفس وما وراء الطبيعة نظرياً محضاً مبنياً على الحدس او على ما قال به اصحاب الاديان ومعلموها . اما الآن فاخذت طائفة من العلماء والفلاسفة تبحث في الامور النفسية بحثاً علمياً محضاً مبنياً على التجربة والامتحان ويتضح مرادنا من التجربة والامتحان بما يلي

اذا قال قائل ان البارود مزيج من الكبريت والفحم وملح البارود على نسبة معلومة فالاسلوب العلمي لتحقيق هذا القول ان يحلل البارود لتعلم المواد الداخلة في تركيبه فاذا وجد ان كل ما فيه كبريتاً وفحماً وملح بارود ترجحت صحة القول . ثم يخلط الكبريت بالفحم وملح البارود على تلك النسبة فان تكوّن منها بارود ولم يتكون من اختلاط مادتين منها فقط فالقول صحيح والاّ فلا . واذا قال آخر ان نفس زيد المتوفّى تتجلّى اذا دعوناها على الاسلوب الفلاني وتفعل كيت وكيت . فالاسلوب العلمي لتحقيق قوله ان ندعوها على ذلك الاسلوب ونرى فعلها محترسين من الخطإ والخداع . فان حضرت وفعلت ما ينسب اليها واستحال فعل ذلك بغيرها فالقول صحيح . وهذا ما يفعلهُ العلماء الآن لكن الاحتراس من الخطإ والخداع ليس بالامر السهل في المباحث النفسية كما هو في المباحث الطبيعية لان نتائج المباحث الطبيعية توزن وتكال وتقاس وتمحن طرداً وعكساً فاذا قال قائل ان الماء مركب من جزءين من الهيدروجين وجزء من الاكسجين وان الثمانية عشر درهماً من الماء مركبة من درهمين من الهيدروجين وستة عشر درهماً من الاكسجين امكنهُ ان يثبت صحة قوله بحل ثمانية عشر درهماً من الماء فيتولّد منها درهمان من الهيدروجين و ١٦ درهماً من الاكسجين . و يكون جزء الهيدروجين مضاعف جزء الاكسجين واذا جمع بين درهمين من الهيدروجين وستة عشر درهماً من الاكسجين واتحدا بالكهربائية تكوّن منها ١٨ عشر درهماً من الماء . فيحل ويركب ويزن ويكيل وتشهد حواسهُ كلها بصحة عمله و يفعل ذلك كلهُ في رابعة النهار ويمتحنهُ بنفسهِ من غير ريب ولا شرط وتكون نتائج الامتحان واحدة سواء اجراهُ في اوربا او اسيا او افريقية او اميركا ومهما كان جنسهُ ومذهبهُ . واما الاعمال النفسية فلا يكاد يصدق عليها شرط من الشروط المذكورة آنفاً فلا تعمل الاّ في الظلام او النور الضئيل ولا تفعل طرداً وعكساً ولا تجري الاّ حسب مشيئة مدعيها وليس فيها سبيل لمعرفة الكمية لا وزناً ولا كيلاً ولا قياساً . فالبلوغ فيها الى درجة التحقيق العلمي يكاد يكون ضرباً من المحال وهذا لا ينفي صحتها ولكنهُ يوقع الريب الشديد فيها

دُعينا في الشتاء الماضي لمشاهدة اعمال بعض الاوربيين الذين يدَّعون استحضار الارواح ومناجاتها . والذي دعانا قصٌّ علينا من افعالهم ما يفوق التصديق ولو صدق واحد منها لتثبت ان الارواح تستحضر حقيقة وتفعل ما ينسب اليها من الافعال . فلم يصدِّق كاتب هذه السطور اقوالهُ لكثرة ما شاهد من افعال هؤلاء الدجالين ولكن احد العلماء الفضلاء وهو من اوسع سكان هذا القطر علمًا وادقهم بحثًا اراد ان يمتحن ذلك بنفسهِ فزار اولئك الاوربيين ذات ليلة ورأى اعمالهم وعاد مقتنعًا ان روح اخيهِ اتتهُ من عالم الغيب وكلمتهُ بامور لا يعرفها سواهُ وانهم عملوا اعمالاً لا تفسَّر الاَّ بان الارواح حضرتْ وعملتها . ولج علينا حتى نذهب معهُ لمشاهدة تلك الاعمال في ليلة اخرى فذهبنا واذا كل الاعمال خداع وتدجيل وشعوذة وكل ما فيها مما يعسر تفسيرهُ الآن ان بعض الناس يذهلون عن انفسهم احيانًا فيرون و يسمعون ما لا حقيقة لهُ ولكن اذا نبههم منبه الى بعض ما في تلك الاعمال من الخداع انتبهوا لها كلها و بطل ذهولهم . وهذا عين ما حدث تلك الليلة فان ذلك العالم خرج مقتنعًا ان الاعمال التي شاهدها في الليلتين من قبيل الخداع . وما اصابهُ اصاب كثيرين من اكبر علماء الارض

ذكر المستر كوكس في المجلد الثاني من كتابهِ المطبوع سنة ١٨٧٩ ما يأتي قال

اجتمعنا في بيت المستر ولتر كوكس وكان معنا الاستاذ وليم كروكس والمستر غلدون وحضر المستر هوم الوسيط وسيدتان . والغرفة التي اجتمعنا فيها غرفة الاستقبال وهي غرفتان تفصل بينهما خزانة وستارة فاجلسنا المستر هوم على كرسي في الغرفة الصغرى ور بطنا يديهِ باسلاك من النحاس الى ظهر الكرسي ور بطنا رجليهِ الى رجليها ور بطنا الكرسي بالموقد ولحمنا عقد السلك بلحام معدني . وقال العلماء الحضور حينئذٍ انهُ لا يمكن لقوة بشرية ان تزيح المستر هوم من مكانهِ مالم تقطع الاسلاك المعدنية . ثم البسناهُ رداءً واسعًا وخطنا كميهِ حتى صار كأنهُ في كيس . وكان كرسيهُ على ثماني اقدام من الستارة الفاصلة بين الغرفتين ولم يكن لهُ بيننا صديق او شريك فانهُ جاء البيت وحدهُ في مركبة لاباس ليس المساء . ثم اقفلنا باب الغرفة وختمناهُ بالشمع واقفلنا شباكها وختمناهُ حتى تكون على ثقة ان لا احد يدخل الغرفة وتركناهُ في الظلام بعد ان وضعنا لهُ جرسًا على مائدة بعيدة عنهُ وخرجنا الى الغرفة التالية وكان نور الغاز ساطعًا فيها وجلسنا امام الستارة . وبعد اربع دقائق سمعنا الجرس يدقُّ بشدة ثم جعل اثاث الغرفة التي كان فيها يخرج منها الواحد بعد الآخر وبعد ذلك ازيحت الستارة واذا نحن برجل لابس لبس البحَّارة ووجههُ يشبه وجه المستر هوم تمامًا

فوقف امامنا واتكأ على الخزانة وبقي اكثر من نصف ساعة يتكلم معنا ويخاطب كلاً منا باسمهِ ويجيبنا عمَّا نسألهُ ويبدي في كلامهِ كثيراً من الظرف والجون . مثال ذلك اني قلت لهُ هل جسمك حقيقي او انت خيال فقال ان جسمي اقوى من جسمك . فقلت وهل في جسمك دم فقال كيف لا وان كنت في ريب من ذلك فضع اصبعك سيفي فمي وفتح فاهُ فوضعت اصبعي فيهِ وانا اظنهُ خيالاً فوجدت فاهُ سخناً رطباً واسنانهُ صلبة حادة فعضني عضة جعلتني اصرخ من الالم ولم يدعني الاَّ بعد دقيقة من الزمان . وكان على مائدة امامنا حلقة كبيرة من الحديد صنعناها لنتسخنهُ بها فقال لي اتريد ان ادخلها في ساعدك فقلت نعم فقال اعطني يدك فاعطيتهُ يدي اليمنى فقال تاولني الحلقة فناولتهُ اياها باليسرى فمكها وضغط بها على يدي اليمنى قرب كتفي فاحاطت بها حالاً ولا ادري كيف ادخلها لان كمي لم تفارق كفهُ على ما كنت اشعر والحلقة حلقتنا لا حلقتهُ ونحن صنعناها وهي من الحديد الغليظ غلظ حديدها اكثر من سنتيمتر . فعدت الى المائدة والحلقة حول ذراعي ولحمها الحضور كلهم واذا في حلقتنا عينها . ثم دخلنا الغرفة التي اجلسناهُ فيها فاذا هو جالس في مكانهِ غائب عن الصواب والاسلاك المعدنية حول يديهِ ورجليهِ على حالها والحامها في مكانهِ لم يتغير وهو مربوط بالكرسي وبالموقد والرداء يغطيهِ والباب والشباك مقفلان مختومان . انتهى

فهؤلاء الاربعة اي السر وليم كروكس العالم الطبيعي الشهير والسر فرنسيس غلتون الرحالة البحَّاثة والمستر ولتر كروكس والمستر سرجنت كوكس وكلهم من الموثوق بصدقهم وزكانة عقولهم شهدوا كلهم لصحة هذه الرواية . ولكن علم العلماء مهما كان راسخاً لا يكفي لاكتشاف حيل المحتالين وشعوذة المشعوذين وقد كان هوم من اشهرهم . ولقد اثبت مسكين المشعوذ المشهور انهُ يستطيع ان يتخلص من الرباط مهما ظهر انهُ متين محكم ويعمل ما عملهُ هوم ثم يعود الى مكانهِ ويظهر كأنهُ بقي في رباطهِ لانهُ يحتال في لف الرباط حيلاً تسهِّل عليهِ التخلص منهُ . واذا لم يكن هوم قد فعل ذلك فلا يستحيل ان يكون كوكس وكروكس وغلتون قد خُدِعوا كلهم فرأوا مالا يُرَى وسمعوا مالا يسمع لانهُ كما يحتمل ان يفعل بعض الناس افعالاً خارقة لا يستطيع غيرهم فعلها يحتمل ان يتخيل بعضهم انهم يرون ويسمعون مالا حقيقة لهُ في الخارج كيف لا والنائم والحالم يريان ويسمعان ما لا وجود لهُ . وقد حادثنا السر فرنسيس غلتون مراراً في مواضيع مختلفة تطفُّ على هذا الموضوع ولم يذكر لنا قط هذه الحادثة ولا اشار اليها او الى غيرها مما يدل على انهُ يصدق بمناجاة الارواح . اما السر وليم كروكس فمن المصدقين بها ولكنهُ صار الآن اشد حذراً مما كان منذ ثلاثين سنة او اكثر

على ما يظهر لنا من كتاباته الحديثة وخطبه او قد وقف وقفة المرتاب والمستر كوكس توفي الى رحمة ربه ولا نتذكر الآن اننا قرأنا شيئاً عما ذهب اليه في اواخر ايامه

و يفعل المشعوذون الآن افعالاً تشبه ما فعلهُ المستر هوم فقد رأينا البارحة المشعوذ الاميركي المشهور المستر نيقولا يُربَط و يوضع في صندوق ويحزم الصندوق حزماً متيناً و يختم ويلقى عليهِ ستار و بعد اقل من دقيقة يفتح فاذا فيهِ فتاة و يظهر المشعوذ من مكان آخر في المشهد وهو لا يدّعي غير الخفّة والشعوذة

ثم ان المستر هوم استطاع مرةً ان يقنع جماعة من وجوه الانكليز انهُ طار وانتقل من مكان الى آخر طائراً . وفي وصف هذه الحادثة عبرة للباحثين في هذا الموضوع ولذلك اخترنا نشرها برمتها

حدثت الحادثة في ١٦ دسمبر سنة ١٨٦٨ امام لورد لندساي ولورد ادر وكبتن وين من وجوه الانكليز ووصفها لورد لندساي في ١٤ يوليو سنة ١٨٧١ في رسالة طبعت تلك السنة قال فيها كنت جالساً مستر هوم ولورد ادر ونسيب لهُ و بينما نحن جلوس اصاب المستر هوم غيبة وحُمل وهو غائب من شباك الغرفة المجاورة لغرفتنا وأدخل شباك غرفتنا واليمد بين الشباكين سبع اقدام ونصف قدم وكان في اسفل كل شباك برواز عرضهُ قدم توضع عليهِ قصائص الازهار . سمعنا الشباك يفتح في الغرفة التالية لغرفتنا والحال رأينا هوم طائراً في الهواء خارج شباكنا وكان نور القمر ساطعاً في غرفتنا وكان ظهري متجهاً الى النور فرأيت خيال هوم على الحائط الذي تحت الشباك وقدميهِ فوقهُ على نصف قدم منهُ و بقي في هذه الحالة بضع ثوان ثم رفع الشباك ودخل الغرفة ورجلاهُ امامهُ

وكتب لورد لندساي وصف هذه الحادثة الى الجمعية المنطقية في يوليو سنة ١٨٦٩ على هذه الصورة : —

رأيت هوم طائراً خارج الشباك . اصيب بغيبوبة اولاً وجعل يمشي على غير هدًى ثم ذهب الى الدار ولما غاب عني سمعت واحداً يسرُّ اليَّ قائلاً انهُ سيخرج من شباك و يدخل من آخر . فدهشت من ذلك وخفت ان يقع بهِ شرٌّ . واخبرت الذين معي بما سمعت وجعلنا ننتظر رجوعهُ و بعد قليل دخل الغرفة وسمعت الشباك يرفع ولم اره لاني كنت جالساً ظهري متجه اليهِ ولكنني رأيت خيالهُ على الحائط المقابل . خرج من الشباك على شكل افقي ورأيتهُ خارج الشباك الآخر الذي في الغرفة التالية طائراً في الهواء على ٨٥ قدماً فوق الارض . انتهى

فهذان الخبران مختلفان في امور جوهرية مع ان الخبر واحد ولكنهما متفقان في امر ينقض

صحتهما وهو انهُ كان لهوم خيال واضح في نور القمر . فان القمر كان حينئذٍ ابن يوم واحد فلا يلقي خيالاً للاجسام . ثم ان لورد ادر الذي كان مع لورد اندساي قال انهُ رأى هوم طائراً قائماً لا مستلقياً اما الكبتن ون فاكتفى بقولهِ ان هوم خرج من شباك ودخل من آخر . ولعلَّ هذا هو الصواب اي ان هوم وثب من شباك الى آخر فخيَّل للورد لندساي انهُ رآهُ طائراً مستلقياً وللورد ادر انهُ رآهُ طائراً قائماً . ومما يؤيد ان الامر تخيُّل لا غير ان لورد لندساي رأى طيف هوم قبيل ذلك جالساً في كرسي وسمع قائلاً يقول في اذنهِ انهُ سيخرج من شباك ويدخل من آخر . وفوق هذا فان هوم خرج من الشباك في جلسة سابقة ووقف على حافتهِ ينظر الى ارتفاعهِ عن الارض فاضطرب لورد لندساي من ذلك . ثم قبل الحادثة الاخيرة قال هوم ان الارواح ستطيرهِ وتخرجهُ من الشباك الواحد وتدخلهُ من الآخر وسمع لورد لندساي صوت فتح الشباك ورأى خيالاً طفيفاً على الحائط المقابل فخيَّل لهُ انهُ خيال هوم وان هوم دخل من الشباك حينئذٍ طائراً في الهواء لانهُ كان قد رسخ في ذهنهِ انهُ قادر على الطيران

ومن الغريب ان العلماء المتبحرين اشد انخداعاً من غيرهم حتى قال احد مهرة المشعوذين « ان العالم الذي يجلس حيث تجلسهُ ويلتفت الى حيث تقول لهُ ان يلتفت هو الرجل الذي تجوز عليهِ حيَل المشعوذين فانهُ يرى ويصدق ما لا يراهُ ولا يصدقهُ تلامذة المدارس »

ذكرت جريدة النور سنة ١٩١٠ ان الاستاذ رشل الفرنسوي أعطى وسيطاً اسمهُ بابلي مئتي جنيه ليحضر من استراليا الى فرنسا ويجرب اعمالهُ النفسية الخارقة امامهُ وقام بكل نفقاتهِ ونفقات رفيق لهُ لا يسافر بدونهِ . وفي احدى الجلسات اظهر بابلي طائرين ادَّعى ان الارواح جلبتهما لهُ من الهند تلك الليلة . ولكن ثبت في اليوم التالي ان بابلي اشترى ذينك الطائرين من السوق والذي باعهما لهُ عرفهما وعرفهُ . ولما رأى الاستاذ رشل ذلك كتب الى بابلي يقول لهُ « عليك ان تعود الى استراليا حالاً لئلاَّ تقع في يد رجال الحكومة اذا عملت عملاً آخر من هذا النوع واني مستاء منك جدًّا لارتكابك هذا الخداع لاسيما واني واثق انك في غنى عنهُ بما أعطيت من القوى الفائقة التي تمكنك من عمل اعمال تفوق الطبيعة » . ثم اعطاهُ نفقات السفر ليعود الى استراليا

ويقول هؤلاء العلماء ان الوسطاء يستعملون الخداع احياناً عن جهل وحمق لان فيهم قوى خارقة العادة تغنيهم عنهُ . وهاك ما قالهُ السر اوليفر لدج في جزء اكتوبر من مجلة البدرك « اني افكر الآن في نشر ما رأيتهُ من اعمال اساياباديتو لان هذه الاعمال قد

تحققت بعد ذلك على اساليب مختلفة ولاني واثق انهُ تظهر من بعض الناس ظواهر طبيعية خارقة للعادة وانا غير قادر على تعليلها اي انهُ توجد قوى لم يكتشفها العلم حتى الآن »

فان ثبت ما قالهُ هذا العلاَّمة وما يذهب اليهِ هو وامثالهُ من ان ارواح الموتى تبقى حول الاحياء تؤثر فيهم فيكون اثباتهم لهُ اعظم اعمال العلماء في هذا العصر

القمار في مونت كارلو

الى الشرق من مدينة ليس بفرنسا امارة صغيرة مستقلة اسمها موناكو تحيط بها بلاد فرنسا من كل الجهات الاَّ حيث تشرف على بحر الروم · مساحتها ثلاثة اميال مربعة او اقل من الفي فدان وعدد سكانها نحو ١٩ الف نفس وهي تشمل مدينة موناكو وسكانها ٢٤١٠ ومونت كارلو وسكانها ٣٧٩٤ وكندامين وسكانها ٦٢١٨

صاحب هذه الامارة البرنس البرت الذي خلف اباهُ البرنس شارل الثالث سنة ١٨٨٩ · وشأنها قائم بالمقامرة في مونت كارلو حيث يفد الوف من اغنياء اوربا واميركا كل سنة ليقامروا ويخسر بعضهم و يربح البعض الآخر · ولكن الشركة التي تدير الآن محل القمار او الكازينو تأخذ جانباً من الدراهم التي يقامر بها فيخسرها المقامرون على كل حال

لما كان الامير شارل حيًّا رأى ان دخل امارتهِ لا يقوم بنفقاتهِ فاستشار رجلاً بارعاً في امور و يقال ان الرجل قال لقد اضعت اموالك شعبك فاضع اموال شعب غيرك · والسبيل الى ذلك ان تنشئ لهم مقمرةً · فاعطى امتيازاً بانشاء هذه المقمرة لاثنين من الفرنسويين وهما ديڤال ولفاثر فبنيا كازينو للقمار ولكنهما لم يفلحا

وكان في مدينة همبرج رجل اسمهُ بلانك كان يختلس اخبار التلغراف الآتية من باريس وفيها اسعار البورصة بارشاء عمَّال التلغراف وحُكم عليهِ بالسجن سبعة اشهر فلما انقضت مدة سجنهِ فتح نادقاً وجعلهُ مقمرةً صغيرة فنجح نجاحاً باهراً ولكنهُ قال في نفسهِ انهُ لا بد لحكومة المانيا من منع المقامرة عاجلاً او آجلاً · فجعل يبحث عن مكان ينتقل اليهِ ولا يخشى من مصادرتهِ فيهِ فعثر على امارة موناكو فجاءها سنة ١٨٦٠ واشترى الامتياز من ديڤال ولفاثر ونقل عدة المقامرة الى مدينة مونت كارلو واستخدم مهندساً من امهر المهندسين و بنى الكازينو الحالي وغرس حولهُ الحدائق الغناء واتفق على ذلك نحو ستمئة الف جنيه فجعل مونت كارلو مقمرة اوربا كلها بمهارتهِ وحسن ادارتهِ